

بحار الأنوار

[109] على الاول مزدجر، ولا اللبيب فيها بالتجارب منتفع. أبت القلوب لها إلا حبا، والنفوس إلا صبا (1) والناس لها طالبان طالب طفر بها فاغتر فيها، ونسي التزود منها للظعن، فقل فيها لبثه حتى خلت منها يده وزلت عنها قدمه، وجائته اسر ما كان بها منيته، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته وجلت مصيبتة، فاجتمعت عليه سكرات الموت، فغير موصوف ما نزل به. وآخر اختلج عنها قبل أن يطفر بحاجته، ففارقها بغرته وأسفه، ولم يدرك ما طلب منها، ولم يطفر بما رجا فيها، فارتحلا جميعا من الدنيا بغير زاد، وقدا على غير مهاد. فاحذروا الدنيا الحذر كله، وضعوا عنكم ثقل همومها لما تيقنتم لو شك زوالها وكونوا أسر ما تكونون فيها أحذر ما تكونون لها، فان طالبها كلما اطمأن منها إلى سرور اشخصه عنها مكروه، وكلما اغتبط منها باقبال نغصه عنها إدبار، وكلما ثبتت عليه منها رجلا طوت عنه كشحا، فالسار فيها غار، والنافع فيها صار، وصل رخاؤها بالبلاء، وجعل بقاؤها إلى الفناء، فرحها مشوب بالحزن، وآخر همومها إلى الوهن. فانظر إليها بعين الزاهد المفارق، ولا تنظر بعين صاحب الوامق. اعلم يا هذا أنها تشخص الوداع الساكن، وتفجع المغتبط الامن، لا يرجع منها ما تولى فأدبر، ولا يدري ما هو آت فيحذر، أمانيتها كاذبة، وآمالها باطلة صفوها كدر، وابن آدم فيها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما معظمة جائحة (2) وإما منية قاضية، فلقد كدرت عليه العيشة إن عقل، وأخبرته عن نفسها إن وعى. ولو كان خالقها عزوجل لم يخبر عنها خبرا، ولم يضرب لها مثلا، ولم يأمر بالزهد فيها، والرغبة عنها، لكانت وقايعها وفجايعها قد أنبهت النائم، ووعظت الظالم، وبصرت العالم، وكيف وقد جاء عنها من الله تعالى زاجر، وأنت منه _____ (1) الصب: الشوق في رقة وحرارة كالصباية. (2) المعظمة: النازلة الشديدة، والجائحة: المهلكة (*).